Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فحين يشيع المعنى المجازى فى اللفظ أو الإسناد أو التركيب فإنه ينتقل إلى مجرد حلقة فى سلسلة طويلة من المجازات التاريخية التى لا يصح أن تثير من المعانى أكثر مما تدل عليه بلفظها ، وخير من ذلك أن يقال إنه نوع من التمثيل أو التخييل – إذا لم نقر التفرقة بين التمثيل والتخييل كما أرادهما المعتزلة[٢٨] ، وسنجد لذلك أشباها فى الشعر العربى لا تحصى يسأل فيها الشاعر الأطلال والربع القواء ، بل ينتظر منه النطق أو يراه قد نطق بالفعل ولكنه يحتاج إلى من يفهم عنه .

إن جانبا مهمًّا من وظيفة المجاز ، من خواصه المميزة له على الكلام الذى لا مجاز فيه ، أن فيه القدرة على تقويض الحائط بين الحقيقة والخيال ، وبين الذات والموضوع[٢٩] ، فقد دعا إخوة يوسف أباهم أن يسأل القرية ، كما نادى الشاعر القديم الأطلال ، كان هذا كله صادرا من لاوعى الإنسان وتجربته الأسطورية مع كل مظاهر الحياة ، وإحساسه بوحدة الكون ، وأنه طوع يمينه يسيطر عليه بالكلمات ، متوقعا بيقين أن لها أثر الفعل .

ولقد أجملنا فى ثنايا هذه الصفحات دوافع الفنان المبدع لإيثار المجاز من النواحى العقلية والشعورية والعملية ، وهنا لا يحق لنا أن نهمل المتلقى ، إنه القطب الآخر فى إتمام دائرة التفاعل ، وليس من المتوقع أن يؤثر كل الناس المجاز على الحقيقة ، ولكن هذا قول خادع ، فرجل المال ، أو بطل حمل الأثقال الذى يضيق بالتخيل ويحتاج إلى حقائق مباشرة قد تكفيه لغة الأرقام وحدها لبلوغها ، أو الذى لا يهتم بما يمكن أن يسميه تعبيرا ملتويا أو غامضا ، لا يتعامل مع المجاز فى مستوى معين ، أو بطريقة توصيل معينة . إنه يسمع الموسيقى والأغانى ويشاهد اللوحات الراقصة ، ويعلق فى غرفته منظرا مرسوما بعناية غير واقعية ، ويحرص على علاقات لونية فى أثاث مكتبه أو غرفته ، ويشاهد تمثيليات التلفزيون وأفلام السينما . والمجاز مضطجع فى كل ذلك « على راحته » بشكل ظاهر أو خفى ، ومن ثم لا أحد يرفض المجاز ، وإنما تتحدد العلاقات به من خلال المستوى الروحى والعقلى وتنوع التجارب وعمقها ، تجارب الحياة وتجارب القراءة ، ودرجة الارتباط بالواقع والقدرة على تجاوزه إلى « واقع » أكثر رحابة وعمقا ، هو الواقع التأملى الفكرى .

يطرح الشاعر الناقد س . داى . لويس هذا السؤال بشكل مباشر : لماذا نُستثار بالاستعارة

---

(٢٨) فقد رأوا أن التمثيل يكشف المعانى ويوضحها ، أما التخييل فيقصد به تصوير المعانى فى القلب . السابق ص ٥٠ .

(٢٩) Winifred Nowottny, The Language Poets Use. P. 97.